

تظاهرة

الآلاف يناصرون المرأة رقيقة درب لا رقيقة ض

الجرائم الأخيرة ضد النساء استفزت مكونات مختلفة

الانتعاش الطائفية والحزبية، جمعت القضية العامة نساءً ورجالاً من كل الأعمار في تظاهرة غير مسبوقة، بالكلم والنوع، منذ تحركات إسقاط النظام الطائفي عام 2011، وتظاهرات هيئة التنسيق النقابية في 2013. نحو 5 آلاف نسمة هتفوا بصوت واحد يوم السبت الماضي للعدالة والحرية والمساواة

فاتن الحاج

قد يكون من المبكر الحديث عن نضج حركة مدنية مستقلة لمقاربة قضايا المرأة والأحوال الشخصية. إلا أن ثمة إدراكاً متنامياً بأن العنف ضد المرأة لا يهزها وحدها، بل يهز كل مرتكزات المجتمع اللبناني. لذا كان «بديها» للآلاف أن ينزلوا إلى الشارع في يومها العالمي. خرجوا وخرجن كي لا يكونوا ويكن شهداء زور على ضرب نساء حتى القتل. فجأة، بانوا وبتن جميعاً رولا يعقوب ومنال عاصي وكريستال أبو شقرا وفاطمة بكور ولطيفة قصير ومالكة واديل وبغداد وبثينة ومنى وصونيا ونيليان وأمنة.

وحده التعاطف مع الضحايا جمعهم وجمعهم في تظاهرة واحدة. تجاوزت الشارع أطر الجمعيات النسائية التقليدية والحوار الطائفية والمذهبية. كان المشهد شبيها بتظاهرات هيئة التنسيق النقابية.

على درج المتحف الوطني كان اللقاء، بعد ظهر أول من أمس. لم تلبث فرقة «زقاق» المسرحية أن شددت منذ البداية الأنظار إلى مسرحيتها «ناس بسمنة وناس بزييت». العرض كان عن زواج/ جناز استخدم الأمثال الشعبية مثل «سترة المرأة جازتها» لبدن الصور والسلوكيات النمطية المتعلقة بالمرأة وليلبس الضوء على آلاف النساء اللواتي لا يمكنهن الاستعانة بأي قانون لحمايتهن من الاستغلال والعنف الأسري. تسائل المسرحية التمييز في مجتمعنا، وخصوصاً ضد النساء، مستندة إلى شهادات

عدد من ضحايا العنف الذكوري. بعدها، سار موكب المتظاهرين باتجاه قصر العدل. من مشى في الموكب، استطاع أن يلمح على وجوه كثيرين وكثيرات مزيجاً من الشعور بالغضب والفرح. الغضب تجلى في الصراخ بأعلى صوت: «عالشارع نحنا جينا بدنا قانون يحمينا، يا طبيب قول الحق انت شرعي ولا لا، يا قاضي يا منحاز بدنا نحبس كرم الباز (زوج رولا يعقوب)، يا مجلس يا أصم رح بتهزك صرخة أم». اللافتات ارتفعت للقول إن «المرأة رقيقة درب لا رقيقة ضرب»، و«ضرب الحبيب مش زيب»، و«مجلس النواب معفن والنساء عم تتكفن».

بين الجموع، يتسلل أطفال كثر حرص الأبياء والأمهات على اصطحابهم/ن. هنا اصطحاب الأولاد مسموح ربما لبناء شخصياتهم/ن وتعريضهم/ن لمناخ يدعو للتفكير والدفاع عن حقوقهم/ن. يرفع صغيّر لافتته الخاصة «لما أكبر رح كون رجال وما رح اضرب مرتي». وبجانبه صغيرة كتبت لافتتها هي الأخرى «حب النساء لا تعنيفهن». طنجرة الضغط التي قتلت بها منال عاصي في الطريق الجديدة حضرت أيضاً مذيلة بعبارة: الاستعمال: للطبخ فقط.

وعلى مقربة من العدلية، قالت مديرة منظمة كفى زويا روحانا: «جنا لنقول للسياسيين إن الناس ليسوا سائلين عنكم، وخصوصاً أن الجرائم في الأشهر الأخيرة لم تهز ضمائرهم، أتوا جميعهم ليعبروا عن تضامنهم مع عذابات النساء ضد تجاهلكم

قضاياهن. زمن الاستكانة قد ولى، المسيرة لن تتوقف، سنرفع الصوت ضد كل الجرائم، بما فيها الاغتصاب الزوجي».

في المقابل، انتاب الفرحة الكثيرين، وبدا أنه نابع من اكتشاف أن «صوتنا لازم يعمل شي»، بدليل «حضور فاق التوقع، وحماسة ذكور تعادل حماسة الإناث»، كما راح البعض يقول. حضروا/ن إلى المكان؛ لأن عنوان التظاهرة حركهم/هن بصورة خاصة. شيراز مجلي قالت إنها لا تشارك في تظاهرات لا طائل منها، لكنني «هنا شعرت بانني في تحرك مختلف». لم تقو سهي طراف على الجلوس في منزلها في الشمال في هذا اليوم بالذات «ما عم بسال حالي ليه عم بشارك، بديهي إنو كون هون



المسيرة لن تتوقف، سنرفع الصوت ضد كل الجرائم، بما فيها الاغتصاب الزوجي



على الأرض عم بصرخ ضد اللي عم بصير».

لا بد أن يستوقف المشاركون أيضاً حضور كتلة مدنية شبابية وطالبة واسعة انتفضت بالأمس لمحاربة العنف ضد المرأة، فيما الرهان أن تكبر كرة الثلج لتنتفض في الغد القريب لقضايا حقوقية وعدلية ومطلبية اجتماعية واقتصادية أخرى.

الحضور لم يكن فقط من المتعاطفين/ات، بل ثمة منهم من هم معنيون/ات بصورة مباشرة بعنوان التحرك. قد تكون سميرة حميدو من بين الحالات النادرة التي جمعت في قصتها بين التعنيف وحرمانها إعطاء الجنسية



حضور فاق التوقعات وحماسة ذكور تعادل حماسة الإناث (هيثم الموسوي)

في بلد وأنا في بلد آخر، بسبب قانون قديم معفن للأحوال الشخصية». «حرماننا إعطاء الجنسية لأولادنا أعنف من الضرب»، هذا ما تقوله إيمان مهدي، وهي تروي حكاية النذل الذي تتعرض له في كل مرة تريد أن ترى ابنها من زوجها الأجنبي «لأنو بس

لأولادها بسبب زواجها بأجنبي. تشرح السيدة المعنفة كيف شعرت بالحرق في اللحظة التي أخلى فيها القاضي سبيل زوجها، وكانت يومها حاملاً وتزف في المستشفى من شدة ضربه لها. ليس أقل حرقاً، كما تقول، أن «أعلق عشر سنوات على ذمته هو

أنا الجنة تحت قدمي... لست جثة تحت قدم

أبعد هن تظاهرة

هديك فرفور

قد يسأل كثيرون عن «الفرق» الذي تحدته المشاركة في تظاهرة لحماية النساء من العنف الأسري. حجة السائلين أن ثمة أموراً «أهم» و«أخطر». إلا أنه يخفى على هؤلاء ما تعنيه، حقاً، هذه المشاركة.

أن تشارك في تظاهرة دعت إليها إحدى منظمات المجتمع المدني لإقرار قانون يحمي النساء من العنف الأسري، يعني أنك خرجت من «قوقعة» الأمن، المراد لنا، منذ عقود، الانتشغال بها، وأنت «أمنت» بقضايا أخرى لم يدفعك إلى الإيمان بها رجل دين أو رجل سياسة... نزلت إلى الشارع ووجدت أن من يسير إلى جانبك ليس من طائفتك أو انتمائك السياسي هذه المرة، لكنك لم تكتث بذلك، لأنكما تقاومان الجهة نفسها هذه المرة. ما يجمعكما وجعٌ يرمي بثقله كل الاختلافات الحاصلة. فأي «فرق» هم يجهلون؟

أن تشارك في التظاهرة، لا يعني أنك ترفض الذكورية «المستفحلة» في الذهنية اللبنانية فحسب، بل يعني أنك تطالب بمجتمع «صحي» يحارب المجرمين - المرضى، ذلك أنهم استطاعوا أن يقتلوا أشخاصاً يحبونهم، أو على الأقل كانوا يحبونهم، فهل يرتد الشخص الذي قتل أمه أو أخته أو ابنته أو زوجته عن القتل؟ كيف بنا نتجاهل «تجوالهم» بيننا؟ وكيف بنا لا نطالب بالقضاء عليهم؟ فأي «فرق» هم يجهلون؟ أن تشارك في التظاهرة، يعني أن «تظهر» الأم والزوجة والأخت والابنة من جرثومة «الشرف» التي تجعل جسدها وأفكارها ونمط حياتها تابعاً لذكر قد لا يكون «رجلاً»، فأي «فرق» هم يجهلون؟

أن تشارك في التظاهرة، يعني أن تثبت أن الشرف يتعدى البكارة ويشمل الجراة على الإيمان بمجتمع مدني «يطبخ» الدين السياسي الذي يعتنقه مجتمعنا الحالي، وإدراك أن ما من مجتمع «حر» يقوم من دون حرية المرأة، فأي فرق هم يجهلون؟ إلى «المستخفين» بهذه التظاهرة، كان عليكم أن تنزلوا كي تشاهدوا جموع المشاركين، وتسمعوا حناجر «الرجال» قبل «النساء» وتروا «المستشعرين» بالخطر على مجتمع لا يحمي نساءه. عندها، كنتم ستدركون الفرق الذي تحدته هذه التظاهرات.

أيضا الشوقي

أنا منال، ابنة 33 عاماً تعرّضت للتعذيب من زوجي - الذي يُفترض أنه يُحِبُّني - وقتلت بطنجرة ضغط.

أنا فاطمة، الحامل في شهري السابع، ذبحني زوجي وقتل جنيني.

أنا رولا، ضربني زوجي حتى الموت أمام بناتي.

أنا الكثير غيرهن... أنا زينب وأنا تيريزا قتلتنني الأديان والطوائف كلها. أنا 8 آذار وأنا 14 آذار قتلتنني السلطة والمعارضة. أنا من قتلها مجتمع ظالم وعذبها سفاح سافل. أنا نصف مجتمع موبوء يُفرغ عقده عليّ. أنا من وضعوا شرفهم بين فخذي وجعلوه مبرراً لقتلي. أنا «الأنا» التي حرّرتها، شاء من شاء وأبى من أبى، سادافع عن حقي بشراسة هذا المجتمع القاتل نفسها، وسأنتصر.

هذه الكلمات ردها كل من جلس على أدرج المتحف الوطني أول من أمس، ورفع لافتة تدين العنف ضد المرأة، وصرخ «باطل» للاغتصاب الزوجي والزواج المبكر والمجلس النيابي الذي لا يشرع والطب غير الشرعي... هؤلاء أتوا من مختلف المناطق والأديان ليقولوا «لا للعنف ضد المرأة»، ليس لأنه عنف لا أخلاقي، بل لأنه عنف

يقهر المجتمع ويمنع تحرره بالدرجة الأولى.

رجال ونساء حضروا مع أولادهم وعائلاتهم ليطالبوا بوقف القتل الممنهج والمتزايد. يريدون قانوناً يدين العنف الأسري بوصفه عنفاً لا يقف عند باب «المنزل الزوجي»، بل هو عنف يؤسس للعنف. فمن يضرب زوجته أمام أولاده يخلق جيلاً متعاشياً مع العنف وممارساً له في حياته العامة والخاصة، أي جيلاً مجرماً.

شبان وشابات في مرحلة المراهقة وقفوا في مجموعات صغيرة. تكلموا عن رولا وكريستال وبغداد وأمنة وصونيا... كانتهم يعرفونهن جيداً، تبادلوا قصصهن وعضبوا. اعتبروهم قضيتهم المحقة. خلجوا لأنهم تحزكوا متأخرين بعد وفاتهن. في الجهة الأخرى مجموعات من كبار السن تسير وتناقش القانون المقترح وأبعاد القضية وانعكاساتها. من مكان ما يُسمع صوت قرع طبول تزيد من حماسة الموجودين وتُعلي أصواتهم وصرخاتهم. وسط هذه الخلطة «الحقيقية» تظهر من بين الحشود امرأة مثشحة بالسواد، متقوسة الظهر أكل الشيب شعرها. عرفها الجميع كأنها أمهم، منحنية أثقلتها

الدنيا بهموم جثة. أم رولا يعقوب حضرت بمأساتها الكاملة. رأت صور رولا وأخريات تملأ المكان، تسابقت وسائل الإعلام في نهش كلام من بحر أحزائها. بلوعة حزن لن تُنجح أي كلمات في وصفها انهالت الدعوات بالعذاب نفسه على قاتل ابنتها. هي لم تصحو بعد من صدمتها «بنتي ماتت قد ما ضربا وقدام بناتنا». تعب صوتها وجسدها فجلست على درج المتحف وبكت. هتف من حولها: «يا نائب يا أصم... رح بتهزك صرخة إم». أما القتل فاصبحوا معروفين. هتف الجميع باسمائهم واحداً واحداً، قاتلاً قاتلاً. إذا لم يحاسبهم القانون فلنحاسبهم نحن. هؤلاء مجرمون حتى لو أخلى سبيلهم قضاء أعمى. لكن ماذا عن نساء البرلمان؟ سألت إحداهن. ليس من المفروض أن باتين أول الناس؟ لماذا يعتكفن في قضية كهذه تمسهم في الصميم؟ أسئلة غير بريئة طرحتها إحدى النساء «إنتو بعض المرا أول عدو للمرا، روحوا جيبوهن من بيوتن وبالعنف كمان»، أنها جواوب من رجل ثلاثيني عابر. كلاً، المشكلة تكمن في النظام. النظام بينيته مقاوم للتغيير، محافظ حتى القهر. على الرغم من أن صيغة قانون